أية اشارة الى موقف اسرائيل ومشاركتها في الاستعدادات التي كانت تحضّر للعدوان. الّا ان موسكو لم تستطع الاحتفاظ بموقفها هذا بعد ان وقع العدوان بالفعل، وافتضح الدور الاساسي الذي أُنيط باسرائيل ضمن خطته. وهكذا، فقد حمل البيان الذي أصدرته الحكومة السوفياتية بشأن العدوان المسلّح على مصر، بتاريخ ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٦، على الحكومة الاسرائيلية بشدة وعنف، واعتبر عملها هذا «عدواناً مسلّحاً وخرقاً سافراً لميثاق هيئة الامم المتحدة». وأضاف البيان، ان «حكومة اسرائيل، التي تعمل بمثابة أداة للأوساط الامبريالية الساعية الى استعادة نظام الاضطهاد الاستعماري في الشرق، قد تحدّت جميع الشعوب العربية، وجميع شعوب الشرق، التي تخوض النضال ضد الاستعمار. وان الطريق الذي سلكته الاوساط المتطرفة الحاكمة في اسرائيل هو طريق اجرامي وخطر قبل كل شيء على اسرائيل نفسها وعلى مستقبلها». وبعد خمسة أيام من اصدار هذا البيان، وجّه بولغانين انذاره الشهير الى بن ـ غوريون، والذي قال فيه ان «حكومة اسرائيل التي تنفّذ ارادة الغير وتعمل بتوجيهات من الخارج تتلاعب بمصير السلام وبمصير شعبها، تلاعباً اجرامياً خالياً من الشعور بالمسؤولية. وهي تزرع الحقد على دولة اسرائيل لدى شعوب الشرق، ذلك الحقد الذي لا بدّ وان يترك أثره على مستقبل اسرائيل ويهدّد وجود اسرائيل كدولة». وتضمّن الانذار اعلاناً بقرار موسكو عن استدعاء سفيرها من تل ـ أبيب[٩]. وعلى الرغم من ان موسكو أعادت سفيرها الى تل ـ أبيب بعد فترة قصيرة، الّا انه كان على اسرائيل ان تعتاد، منذ ذلك الوقت، على استقبال مذكّرات التحذير والتوبيخ التي لم تعد موسكو تتردّد في ارسالها الى حكومة تل ـ أبيب كلّما استدعت المناسبة ذلك، وهو ما حصل، مثلاً، في اثناء التدخل الاميركي والبريطاني المسلّح في لبنان والاردن العام ١٩٥٨، وما ثبت في حينه من ان الطائرات الحربية البريطانية والاميركية استخدمت الأجواء الاسرائيلية على نطاق واسع[١٠]. وعلى الرغم من ان العلاقات السوفياتية ـ العربية لم تكن، خلال تلك المرحلة، في أحسن احوالها، فقد كان الاسلوب الذي اتبعته موسكو في تنظيم علاقاتها مع أطراف المنطقة، اتفاقاً واختلافاً، يدلل على ان الكرملين اختار ان يعتبر الجانب العربي بمثابة حليفه الاقليمي داخل المنطقة. وهكذا، فقد كانت الدبلوماسية السوفياتية تجهد للبحث عن الجوامع المشتركة التي يمكن ان تقرّبها من العواصم العربية، ومن خلال النافذتين، الاقتصادية والعسكرية، وذلك على الرغم من كل الخلافات الايديولوجية التي يفترض انها كانت تغذّي شكوك الطرفين ببعضهما، وخصوصاً عندما كانت هذه الخلافات تجد تجسّدها في قضايا مشخّصة، مثل الاجراءات التي كانت الحكومات العربية تتخذها ضد الاحزاب الشيوعية المحلية. وفي مقابل ذلك ـ وربما في امتداده ـ كانت علاقات موسكو مع تل ـ أبيب دخلت مرحلة من الجمود المشحون بمشاعر نفور متبادل، وصلت ذروتها عشية العدوان الذي قامت به اسرائيل ضد الدول العربية المجاورة العام ١٩٦٧، بحيث لم يكن اعلان موسكو عن قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل، في أعقاب العدوان، موضع استغراب أو دهشة؛ فقد كان واضحاً ان مستجدات المنطقة أصبحت تفرض حسم الخيارات وانهاء فترة طويلة من التردّد في اتخاذ القرارات التي كانت تقتضيها لعبة الاستقطابات الدولية في زمن الحرب الباردة.

المرحلة الثالثة: القطيعة

لا شك في ان الانهيار السريع الذي مُنيت به الجيوش العربية في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، شكّل صدمة قوية للموقع الذي بنته موسكو لنفسها في المنطقة، بعد سنوات طويلة من العمل الدبلوماسي الدؤوب. وسواء أصبح الحديث عن وجود ضلع لنشاط الدبلوماسية السوفياتية في خلق الظروف التي هيّأت لانفجار الحرب أم لا، فان من الثابت ان حركة الاحداث التي تتابعت، منذ